بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة سبح اسم ربك الأعلى مكية

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾.

تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه. ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلوّ في المكان والاستواء على العرش حقيقة، وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم. ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم. وقرأ علي رضي الله عنه: سبحان ربيَ الأعلى. وفي الحديث: لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم». فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال: «اجعلوها في سجودكم»[1]. وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت، وفي السجود اللهم لك سجدت.

ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾.

﴿خلق فسوّى﴾ أي: خلق كل شيء فسوّى خلقه تسويةً ولم يأتِ به متفاوتًا غير ملتئم، ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم.

وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾

﴿قدّر فهدى﴾ قدّر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به. يُحكى أنّ الافعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله أنّ مسح العين بورق الرازيانج الغض يردُّ إليها بصرها. فربمّا كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله. وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحدّ من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه. وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى. وقرئ: قدر بالتخفيف. أحوى صفة لغثاء أي.

﴿أخرج المرعى﴾، أنبته.

فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾.

﴿فجعله﴾ بعد خضرته ورفيفه ﴿غثاءً أحوى﴾ دريناً أسود، ويجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدّة الخضرة والري فجعله غثاءً بعد حوّته بشّره الله بإعطاء آية بيِّنة وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أُمّي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه.

إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾.

﴿إلا ما شاء الله﴾ فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته، كقوله: أو ننسها، وقيل: كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل فقيل: لا تعجل فإنّ جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءةً مكررةً إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله ثم نذكره بعد النسيان، أو قال: إلا ما شاء الله، يعني: القلة والندرة، كما روي أنه أسقط آيةً في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال: نسيتها. أو قال: إلا ما شاء الله[2]. والغرض نفي النسيان رأسًا، كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يقصد استثناء شيء. وهو من استعمال القلة في معنى النفي. وقيل قوله: فلا تنسى، على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله: السبيلا. يعني: فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة. ﴿إنه يعلم الجهر﴾ يعني: أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت، والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه، أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحي ما يشاء ويترك محفوظًا ما يشاء.

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾.

﴿ونيسرك لليسرى﴾ معطوف على سنقرئك وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ اعتراض، ومعناه: نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني: حفظ الوحي. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها ماخذًا. وقيل: نوفقك لعمل الجنة.

فإن قُلْتَ: كان الرسول ﷺ مأمورًا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع؟ **قُلْتُ:** هو على وجهين: أحدهما أنّ رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوًّا وطغيانًا، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرة وتلهفًا ويزداد جدًا في تذكيرهم وحرصًا عليه. فقيل له: وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام.

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾.

---

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: الصلاة، باب: صفة الصلاة، (الحديث: 189*) وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، (الحديث رقم: 869) وأخرجه ابن ماجه في الإقامة، باب: التسبيح في الركوع، (الحديث رقم: 887) وأخرجه = أحمد في المسند 4/155.

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، والطبري والبخاري في الأدب المفرد، زيلعي 4/194.

ونكّر إن نفعت الذكرى وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير، والثاني أن يكون ظاهره شرطًا ومعناه ذمًّا للمنكرين وإخبارًا عن حالهم واستبعادًا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ: عِظ المكاسين إن سمعوا منك. قاصدًا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون.

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾.

﴿سيذكر﴾ فيقبل التذكرة وينتفع بها ﴿من يخشى﴾ الله وسوء العاقبة فينظر حتى يقوده ويفكر النظر إلى اتباع الحق. فأمّا هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك.

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾.

﴿ويتجنبها﴾ ويتجنب الذكرى ويتحاماها ﴿الأشقى﴾ الكافر لأنه أشقى من الفاسق، أو الذي هو أشقى من الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾.

﴿النار الكبرى﴾ السفلى من أطباق النار[1]. وقيل: الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا. وقيل: ثم لأنّ الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه في مراتب الشدّة. والمعنى: لا يموت فيستريح ولا يحيى حياةً تنفعه.

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾.

﴿تزكّى﴾ تطهّر من الشرك والمعاصي، أو تطهّر للصلاة، أو تكثر من التقوى، من الزكاة وهو النماء، أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة.

وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾.

﴿فصلى﴾ أي: الصلوات الخمس. نحو قوله: وأقام الصلاة وآتى الزكاة. وعند ابن مسعود: رحم الله امرئ تصدق وصلى. وعن علي رضي الله عنه أنه التصدق بصدقة الفطر. وقال: لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها لقوله: ﴿قد أفلح من تزكّى﴾ أي: أعطى زكاة الفطر فتوجه إلى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح. وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأنّ الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: نكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له. وعن الضحاك: ونكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد.

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾.

﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ فلا تفعلون ما تفلحون به. وقرئ: تؤثرون على الغيبة. ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود: بل أنتم تؤثرون.

وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾.

﴿خير وأبقى﴾ أفضل في نفسها وأنعم وأدوم. وعن عمر رضي الله عنه: ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب.

إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾.

﴿هذا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح﴾ إلى ﴿أبقى﴾، يعني: أنّ معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل: إلى ما في السورة كلها. وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: مائة وأربعة كتب: منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان[2]. وقيل: إنّ في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلاً على شأنه، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف»[3].

صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾.

أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد، وكان إذا قرأها قال: سبحان ربيَ الأعلى[4]، وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها[5]، وقال: أول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائل[6].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الغاشية مكية

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾.

﴿الغاشية﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها. يعني: القيامة. من قوله: يوم يغشاهم الصلى إلخ. قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى ونكر اسم ربه

---

(1) قال أحمد: يشير إلى خلود الفاسق مع الكافر في أسافل النار، والفاسق أعلى منه كما تقدّم له التصريح بذلك كثيراً.

(2) أخرجه ابن حبان في كتاب: البر والإحسان، باب: ما جاء في الطاعات وثوابها، (الحديث رقم: 361).

(3) ذكره ابن مردويه، وذكره الثعلبي والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/197.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، (الحديث رقم: 883). وأخرجه الحاكم في المستدرك 1/263.

(5) ذكره الواحدي في تفسيره، والثعلبي في تفسيره، زيلعي 4/197 ـ 198.

(6) ذكره الواحدي في تفسيره، والثعلبي في تفسيره، زيلعي 4/197.